فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

الشيخ عبدالله البستاني ولغتنا
Le Bustân devant la critique.

خذ بيدك اي ديوان لغة شئت من دواوين لغتنا الشريفة وتصفحه حق التصفح تتحقق ان فيه بعض المقامز . هذا كتاب « العين » ، الذي له السبق على سائر المصنفات التي من ضربه، لايخلو من معايب؛ وقد نبه عليها اللغويون الذي جاؤوا بعده ، ان في حياته وان بعد وفاته . وكذا قل عن كتاب الجمهرة لابن دريد والتهذيب للازهري والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، والمجمل والمقاييس وكلاهما لابن فارس ، والمحيط لابن عباد ، الى غيرها من معاجم اللغة ، فلقد جاء بعدهم من اخذ عليهم بعض أمور لم يصيبوا فيها وكان النقد صحيحا في اغلب الاحيان ان لم يكن في جميع المواطن .

على ان تشويه اللغة الشنيع لم يبدأ إلا لما اخذ المستشرقون في تصنيف المعاجم واستدراك مالم يجدوه في كتب متون اللغة ، بل وجدوه في تصانيف المولدين وارادوا ايداعه مؤلفاتهم . فكانوا كحاطب ليل ، احسنوا في امور واساؤوا في اخرى . وبين هؤلاء المتمرين : غليوس وفريتغ .

كان غليوس اول من عني بتدوين المستدركات لكنه لم يكن واقفا حق الوقوف على أسرار العربية ومطالعة كتب الخط . فقرأ الفاظا على ما تصورها وفسرها على ما شاء فجاء بعده فريتغ فكان أوقف منه على مساقط الكلم فاصلح شيئا من اوهام سلفه ، بيد انه حاول ان يدون حروفا عثر عليها في مطالعاته فاخطأ الحفرة هو ايضا في تعابير كثيرة وقرطس في اغراض لابأس بها .

ثم جاء غيرهما من أبناء الغرب ، فكانوا كأخويهم بين مصيبين ومخطئين . وعلى كل حال تعنوهم لانهم اجانب عن منطقنا ومصطلحنا ولساننا وكتابتنا وتسمح معهم كل التسمح مهما تمادوا في الضلال .

لكن فساد مفردات اللغة لم يبدأ إلّا لمـا شرع المعلم بطرس البستاني في تصنيف ديوانه الكبير محيط المحيط.فحينئذ جاءت تلك الاوهام والاغلاط كالسيل المنهمر من عل ، جارفا في سيره اصول العربية وفروعها ، فشوه كل ما مر به غير محترم اقوال المصنفين . ولا جرم انه لم يتعمد ذلك . حاشـا لله ان اقول ذلك ، انما انا انظر الى العاقبة واحكم على ما اشاهده ، فانه اضر بلغتنا اكثر مما نفعها .وهذا معجمه بايدينا، لو وزنت ما فيه من المساوئ والمعايب والمغامز والاوهام والهنات ، وتجسمت تجسم المحسوسات ، لقام في وجهك كالجبال التي لاتتزعزع ولا تزال .

وذنب المؤلف انه نقل كتابه عن معجم فريتغ وهو في اللغتين العربية واللاتينية . والظاهر انه كان يشدو اللاتينية ولا يعرف منهـا إلّا النزر فخبط وخلط.وجاءنا بذاك النتاج الجامع بين الحسنات والسيئات على اغرب وجه واعجبه .

ولما كان هذا المعجم سهل التناول اقبل على شرائه ومطالعته ابناء العصر ولا سيما المؤلفون منهم والمصنفون والصحفيون فكانت عثراتهم لا تقال ، واصبحت اوهامهم داء عضالا ، ثم جاءت بعده مصنفات الآباء اليسوعيين من معاجم عربية فرنسية وفرنسية عربية ، وعـدا وراء الكل الشيخ سعيد الشرتوني والجميع يأتمون بالمعلم بطرس البستاني . وقد اصبح لهم ولكل من جاء بعده الدليل الوحيد فاصبحت الاغلاط من الشائنات غير الزائلات وهكذا اخذت اللغة تسير في وجه غير وجهها فتفسد شيئا بعد شيء، وتتحكم تلك الاغلاط في النفوس والاقلام وليس من يقوم وينبه على تلك الفظائع الشنيعة .

كنا نفكر في معالجة هذا الداء الوبيل ونتطلب وسيلة لصد السيل الجارف أو لايقافه عند حده . اذ قيل لنـا ان الشيخ عبد الله البستاني يصنف معجما يكون جامعا للحسنات ومزيلا للسيئات ودواء للادواء ، فاستبشرنا خيرا وكنا على احر من الجمر لرؤية تلك الدرة النفيسة ، قاصدين نشر حسناتها واذاعتها على رؤوس الملا.لكن ما كاد يصل الى ايدينا المعجم ونتصفح صفحات منه حتى انقلبنا آسفين على ما برز من قلم الاستاذ الكبير . فانه لم يكتف بتدوين اغلاط من تقدمه من المحدثين ، ولا سيما اغلاط المعلم بطرس البستـاني والشيخ سعيد الشرتوني —

و « بستانه » ليس إلّا نسخة جامعة بين هـذين المعجمين لا غير — بل زاد على ذلك ضغثا على اباله ، فجاءنا بأغلاط لم تخطر على بال بشر . ولم تجل في خاطر عربي البتة .

وذكر هذه الاغلاط أمر صعب اذ يحتاج الكاتب الى وضع تصنيف بكبر تصنيفه ليعدد تلك الاوهام ويثبتها بشواهد وليظهر فسادها أو ليزيفها . على ان ما لا يدرك كله لا يترك جله . ونريد بهذا الجل اشارات الى انواع ما هناك من المغامز الخاصة بهذا المعجم الغريب .

ولكي لا يتهمنا اديب بالمغـالاة او بالتحزب على شيخنا الوقور ، تاخـذ صفحة من صفحات كتابه ونعرضها على القراء .

١ــ قال حضرته في ص ١٠٨٧ من كتابه : «السرق : مصدر و ــ شقق من الحرير الابيض معرب سره بالفارسية اي جيد الواحدة سرقة . »

قلنا : هذه العبارة عبارة محيط المحيط للبستاني وعبارة جميع اللغويين الاقدمين لكن اللغوي الناقد اذا وقف على هذه العبارة ومثلها بعدها خرافة اذ كيف يكون معنى سره بالفـارسية جيدا . ويكون في العربية شققا من الحرير الابيض ؟ ــ هذا امر لا يقبله العقل . ان السرق اعجمية بمعنى الحرير . لكنها ليست فارسية بل لاتينية اي Sericum

٢ــ وقال : « السرق كصرد : ضرب من النبات »

وقد بحثنا عن هذا الحرف في مالدينا من الكتب النباتية واللغوية من مطبوعة ومخطوطة . فلم نجد ذكرا لهذا النبت عند السلف ، انما وجدنا الكلمة في محيط المحيط وهذا نقلها عن فريتغ ولم يعزها . وفريتغ نقلها عن فورسكال في كتابه ازاهير مصر وجزيرة العرب . فاتضح ان الكلمة عامية . وهذا ما يجب ان يشار اليه كما فعل الاقدمون وكان يجب ايضا ان يذكر نوع هـذا النبات حتى لا يكثر في دواوينا مثل هذا القول الذي اعيا الكبار والصغار : ضرب من النبات من غير ان يحلوه . وهو امر كان كافيا في العصور الاولى . اما الان فلا يكفينا

٣ــ وترى في تلك الصفحة قوله : «السرقين والسرقين [وضبط الاولى بالكسر والثانية بالفتح] الزبل كالسرجين » ... [وضبط زاي الزبل ضبط قلم بالضم] .

والصواب ضبط زاي الزبل بالكسر وهو مشهور

٤ــ وفي تلك الصفحة : «السركار [وضبطها بكسر السين] ديوان الوالي فارسية . »

وهي عبارة محيط المحيط وقد نقلها عن فريتغ . وفريتغ لم يضبط اللفظة ولم يقل ديوان الوالي ، بل قصر الامير Aula principis وهي لم ترد إلا في كلام المولدين المتأخرين من الكتبة ولم ترد في كلام فصيح . ففي قوله اذن غلطان : غلط ضبط وغلط معنى .

٥ــ وفيها : «سرمه تسريما : قطعه . تسرم : تقطع مطاوع سرمه . »

ولو زاد على ذلك : وكلتاهما لغة في صرم وتصرم لاهتدى الباحث الى اللغة المشهورة .

٦ــ ومن الفاظه الخاصة بمعجمه قوله في تلك الصفحة : « (ذوات السرم) من الحيوان ما كان له مسلك واحد للنسل والثفل كالطير . »

قوله : « ذوات السرم » لا يقابل ما يريد به . ثم ان هذا التعبير حديث الوضع لا يعرفه الاقدمون ولم يشر الى حداثة وضعه . وهو قصور يأد لكل ذي عينين . والذي وضعه الافرنج في هذا المعنى هو Monotrèmes ولا يطلق على الطير بل على طائفة من الحيوانات ذوات الثدي إلا انها وسط بينها وبين الطير . فقد اخطأ في التسمية واخطأ في الشرح واخطأ في التمثيل ثم ولو قاله « الوحيدة المسلك » لكان احسن واعف لفظا .

٧ــ وفي ذلك الوجه يقول ايضا : سرم الديك نوع من النبات .

قلنا : العبارة عبارة محيط المحيط وهي من سوء النقل عن فريتغ . والصواب ان يقال: هو ثمرة الورد ويكون احمر وهو من كلام عوام اهل الشام وفصيحه الدليك . راجع ما قاله شرحا لهذه اللفظة فقد قال عنها : تمر (كذا بفتحتين والصواب ثمر) الورد يحمر حتى يكون كالبسر فيتضج فيحلو فيؤكل كأنه

وطب . اه . اذن سرم الديك ليس نباتا بل ثمر نبات .

٨ ـ وفي الوجه المذكور يقول : « السرمان بالكسر ، والضم لغة . يقال هو العظيم من اليعاسيب و ـ دويبة كالحجل .

قلنا : الذي في اللسان: «السرمان : العظيم من اليعاسيب والضم لغة . والسرمان [وضبطها بالكسر] دويبة كالحجل وضبطها بالقلم وزان سبب وقد اعاد صاحب التاج هذه الكلمة ولم ينسبها الى ابن مكرم. قلنا : وفي كل ذلك عدة اوهام فالسرمان بالكسر والضم لغة هو العظيم من اليعاسيب وهو دويبة كالحجل بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة ومعناه يطل ماجاء في التهذيب: [دويبة] في خلق الجراد اذا سقط لم يضم جناحيه . فهذا هو الحق لا ما مسخه نساخ كتب اللغة فغدا الكلام طلسما من الطلسمات .

٩ ـ وفي تلك الصفحة ما هذا نصه : « السرموجة بالضم : حذاء يستر مقدم القدم وعقبها ويبلغ الى الكعبين ج سرامج .»

قلنا في هذه العبارة ثلاث غلطات : غلط ضبط وغلط تأويل وغلط صرف ، بل هناك غلط رابع وهو ان الكلمة ليست فصيحة بل مولدة واذا اردت غلطا آخر فانك غير مبالغ وذلك ان سرموجة فارسية الاصل وهو لم يشر الى عجمة اصله بكلمة . ـ اما غلط الضبط فهو ان الكتب التي ذكرت اللفظة هي كتب المولدين وحدهم وهم ضبطوها بفتح السين لانها هي كذلك في الفارسية واما لان فعلولا او فعلولة لم يرد مفتوح الاول فهو حديث خرافة قال به الصرفيون وبعض اللغويين . اما الحق فانه وارد في لغتنا من ذلك صفوق وصندوق وكرموص (التاج) وسحنون (على رواية) ، وقرقوف وطرخون وبرشوم الى غيرها . وفتح اول سرموج او سرموجة ذكره البستاني في محيط محيطه اذ يقول : السرموج [وضبطها ضبط قلم بالفتح] نوع من الاحذية والسرموجة اخص منه وتعرف عند العامة بالسرماية واكثرهم يقولها بالصاد . اه. وقال صاحب أقرب الموارد في ذيله: السرموج [وضبطها ايضا ضبط قلم بالفتح] نوع من الاحذية والسرموجة اخص منه وخيل (نقله فريتخ من الف ليلة وليلة) . اه . فاين وجد حضرته ان السرموجة بضم الاول ؟ ـ فانه لم يقل ما قال إلا

لكي يوافق على قول اللغويين : العرب لا تعرف وزن فعلول المفتوح العين مع ان هذا التقييد غير صحيح كما ذكرناه .

ومن غريب ما نقله في تعريف السرموج انه قال : « حذاء يستر مقدم القدم وعقبها ويبلغ الى الكعبين » . اه . والذي ساقه الى الوهم عبارة نسبيه الذي قال ان السرموجة تعرف عند العامة بالسرمايه وا كثرهم يقولها بالصاد اي الصرماية وهذا غير صحيح البتة والذي دفع البستاني الاول الى هذا القول انه رأى مشابهة بين اول كلمة سرموجة واول سرماية فقال لابدان العصا من العصية وهو وهم ظاهر فالصرماية مشتقة من الصرم وهو الجلد الذي تتخذ منه ولا يقول العوام ابدا سرماية بالسين فكلام البستاني الصغير لتعريف السرموج يوافق الصرماية (أو الصرم) عند العوام ولا يوافق البتة السرموج . والصرماية عند الشاميين هي الكوندرة عند الترك وعند العراقيين الحالين . فاين السرموج من الصرماية .

اما السرموج فهو الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف . والكلمة فارسية مركبة من (سر) وهي بمعنى فوق في لسان الفرس و [موزه] اي موق او خف فيكون معنى السرموج « ما يلبس فوق الخف » فأين هذا من ذاك ؟

والاقدمون منا لم يعرفوا السرموج فان هذه من المعربات الحديثة معربات كتاب الف ليلة وليلة . اما السلف فقد عرفوها باسم الجرموق قال صاحب البستان نفسه عن الجرموق : مايلبس فوق الخف وقاية له وهو فارسي معرب . اه فيظهر من كلامه عن السرموج والجرموق انه لم يعرف ان الواحد هو الاخر بعينه . انما الفرق هو ان الجرموق من تعريب الاقدمين والسرموج من تعريب المحدثين او المولدين . وانما فضلوا السرموج على الجرموق موافقة لاصلها الفارسي وهو سرموزه وثانيا خشية اجتماع الجيم والقاف في كلمة واحدة فيكون لها ظاهر الاعجمية فاحبوا ان تكون بنيتها بنية عربية .

واما غلط الصرف الذي اشرنا اليه في صدر الكلام عن السرموج فهو انه جمعها على سراميج وهو لم يسمع عن احد ولاسيما لانه مخالف لاصول لغتنا وصواب جمعها سراميج حملا على القياس لان فعلول لايجمع على فعالل بل على فعاليل اللهم إلا في الشعر وذلك عند الضرورة فقط . ونزيدك يقينا في ماتقول ان صاحب

المصباح المنير ذكر لجمع الجرموق (وهو السرموج عينه) جراميق ولم يقل جراميق البتة .

والغلط الرابع الذي جاء في كلامه عن السرموج هو ان اللفظ من كلام المولدين اومن كلام عوام العصور المتوسطة وليس من حر اللغة والسلف الصالح ينبه دائما على مثل هذا الامر كل مرة اقتضت الحال . لان حر اللفظ شيء واللفظ الساقط شيء آخر .

اما انها فارسية الاصل ولم يشر الى عجمتها فلقد بيناه فويق هذا وهو غلطه الخامس وذلك كله في كلمة واحدة

وقال في تلك الصفحة (لاننا الى الان نطالع في ص ١٠٨٧ ولم نخرج عنها اذ هي جنبة من جنبات ذلك « البستان » الزاهي . والمتنزه قلما يود مفارقته) : « السرمدي الدائم الذي لا ينقطع وقيل ما لا آخر له » اه .

قلنا : ظن المؤلف ان بين الشرحين فرقا في المعنى ففصل بينهما لاعتقاده ان الاول غير الثاني والحال ان كلا الشرحين واحد وما الفرق إلا في التعبير لا غير .

وفي تلك الصفحة عاد الى ذكر السرموج بصورة السرموزة وضبطها ايضا بضم الاول فقال : « السرموزة لغة في السرموجة » . اه .

نقل ذلك عن محيط المحيط الذي ذكرها بفتح الاول وفريتغ لم يضبطها ولم يقل سرموزة بل سرموز (بلا هاء في الآخر) ؛ وقد ذكر انه نقلها عن يعقوب شلت الالماني . اذن لم تنقل عن عربي فصيح وعلى كل حال لم ينبه صديقنا المحبوب على هذا الامر .

وجاء في تلك الصفحة ايضا : السرمق نبات القطف معرب .

قلنا : صواب القطف بالفاء : القطف بالقاف والسرمق من الفارسية سرمه وهو القطف اي الاسبانخ الروسي .

ومما ورد في تلك الصفحة قوله : «السرنج (وضبطها كجعفر) نوع من صناعة النقش كالفسيفساء » .

والصواب ان تضبط السرنج كسمند اي بفتحتين فسكون . وختم تلك المادة س ر ن ج وتلك الصفحة بقوله : وسرنج كجعفر دويبة اي مفازة واسعة بعيدة

الارجاء . اه .

قلنا : سرنج لم ترد في كتاب عربي بالمعنى الذي يشير اليه انما وجدها في ذيل اقرب الموارد بهذا التصحيف فنقلها عنه وصاحب الذيل يزعم انه نقلها عن اللسان وهي لا توجد فيه في المادة التي يشير اليها بل ترى في مادة سربج قال في تاج العروس : سربج بالباء الموحدة بعد الراء في اللسان في حديث جهيش : وكأين قطعنا اليك من دوية سربج اي مفازة واسعة الارجاء . اه . فانت ترى من هذا ان كلا من اللسان والتاج ذكر سربج ولم يذكر « سرنج » فكيف تنسبها الى اللسان وهي ليست فيه ؟ — الجواب ان الشرتوني نقلها عن التاج الذي يعزوها الى اللسان . والتاج ذكرها في مستدرك مادة س ر ن ج فظن ان سربج من خطأ المؤلف او الطبع فوقع في تلك الهاوية ، مع ان السيد مرتضى ذكر اللفظة في مستدرك المادة لا في المادة نفسها . فتأمل .

على اننا نقول ان السربج غير صحيحة والصواب السربخ بباء موحدة تحتية وخاء معجمة في الاخر . وهذا ذكرها جميع اللغويين وممن ذكرها ابن الاثير في نهايته وهو حجة ثقة في ايراد الاحاديث وغريب الفاظها وهو اقدم من ابن مكرم والفيروزابادي والسيد مرتضى . فاول من صحفها اذن بصورة سرنج هو صاحب اللسان ثم تبعه صاحب التاج . اما السربخ بخاء معجمة في الاخر فقد ذكرها جميع اللغويين قاطبة . اذن التصحيف بادٍ ومن عهد اللسان لا غير . قال في النهاية في مادة س ر ب خ : [اي جاء في كتاب ابي موسى] في حديث جهيش : وكأين قطعنا اليك من دوية سربخ اي مفازة واسعة بعيدة الارجاء . اه . ولم يذكر شيئا في مادة سربج . وجرى في اثر ابن الاثير اللسان والقاموس والتاج بل حضرة الشيخ عبدالله نفسه اذ ذكر هذا الحديث بنصه في مادة سربخ وقدم عليه قوله : السربخ كجعفر : الارض الواسعة المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق . وفي حديث جهيش ...

الى هنا انتهت بنا مطالعة هذه الصفحة ونحن لا ندعي باننا وفيناها حق التقدم في جميع وجوهه وأتينا على كل ما فيها من السقط فلعل غيرنا يرى فيها ما لم نره وعلى كل حال اننا كتبنا ثماني صفحات من مجلتنا لاظهار ما في صفحة واحدة

مما نظنه اوهاما فكيف بنا لو انعمنا النظر في المجلد الاول كله وفيه ١٣٨١ ص فنحتاج اذا الى ثماني مرات ١٣٨١ او ١١٠٤٨ اي نحو اثني عشر الف صفحة . فمن ذا الذي يكتبها ومن هذا الذي يطبعها ومن ذاك الذي يطالعها .. — ذلك ما نتركه للقراء ليحكموا فيه . والله الهادي الى سواء السبيل .

﴿ يهرف ليس اسم سبع ﴾

جاء في تاج العروس في مستدرك مادة « ر ف » ما هذا حرفه : ومما يستدرك عليه (اي على المجد الفيروزابادي صاحب القاموس) : يهرف كيضرب : اسم سبع سمي به لكثرة صوته . اه . وقد بحثنا في الدواوين التي بايدينا فلم نجد ذكرا لهذا السبع ، انما وجدنا ابن سيده يقول في مخصصه (٨ : ٧٥) : ويقال لبعض السباع هو يهرف بصوته اي يتزيد فيه . اه . ولم نجد اكثر من هذا القدر . وقد قال صاحب اقرب الموارد في الذيل : « يهرف كيضرب : اسم سبع سمي به لكثرة صوته (التاج) » اه . وانت ترى انهم ينقل إلا نص التاج وكان عليه ان يحقق الامر بنفسه . فانظر كيف يجب ان تعتمد على ما ينقله المؤلف رحمه الله . فعسى ان يفيدنا احد الادباء فائدة وافية عن هذا السبع ونشكر له سلفا يده علينا .

الحرباء

قال المعلم بطرس البستاني في محيط محيطه في مادة ح ر ب : الحرباء ... معرب حربا (وضبطها بضم فسكون فباء مفتوحة فألف مقصورة) بالفارسية . ومعناه : حافظ الشمس اه . وقف على هذه العبارة صاحب البستان . فقال ... « وهو فارسي الاصل مركب من « حر » اي الشمس ومن «با» (كذا ممدودة) والمجموع حرباء اي حافظ الشمس » .

قلنا : وكل هذا الوهم سرى من فريتة وعنه اخذ البستاني الاول عبارته . على ان المستشرق الالماني يقول : ويظن بعضهم ان الحرباء من الفارسية حربا (بلا مد) ومعناه : حافظ الشمس (لا حافظة الشمس . لان الحرباء مذكر لا مؤنث ومؤنثها حرباءة أو ام حبين) .

نعم ، خور أو خر يعني الشمس ، لكن « با » او كما قال الشيخ عبدالله « باء » لا تعني الحافظ او الحافظة : فمن اين اتى بهذا التأويل ؟